الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

المصطفى فى القرآن الكريم

للاستاذ حسنى طه شـكيبان

٢

لقد تأذن الله فى سمواته : من بعث لى بحب عن غير طريق محمد فهو مردود :

« **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم** »

ومن أراد طاعتى فليطع حبيبى ، فهو خليفتى بين الوجود :

« **ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله** » ٠

ومن شغلته حياته الدنيا عن حبى وحب حبيبى فقد خسر الدنيا والآخرة :

« **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ٠ والله لا يهدى القوم الفاسقين** » ٠

وأنت يامحمد فوق كل مقام ٠٠ فلا صلاة مرفوعة الينا دون اعلان فى جنبات العالم باسمى مقرونا به اسمك مرفوعا به ذكرى وذكراك ، ثم لا تكون لأحد صلاة ما لم يختمها بالشهادة بوحدانيتى ورسالتك ثم الصلاة والتسليم عليك كما أنت له أهل :

« **ورفعنا لك ذكرك ٠٠٠** »

التحيات الطيبات المباركات لله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ٠ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين ٠٠ انك حميد مجيد ٠

وفى الأذان المعلن خمس مرات فى اليوم : الله أكبر الله أكبر ٠ أشهد ألا اله الا الله (مرتين) أشهد أن محمدا رسول الله (مرتين) ٠

ويعلن الله العظيم انني أصلي وملائكتي على حبيبي فاذا أردتم قبولا لدى فصلوا عليه واكثروا من التسليم :

« ان الله وملائكته يصلون على النبي • يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » •

ومن هنا خاطب كل نبي باسمه غير حبيبه وصفيه :

« وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة ••• »

« يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ••• »

« ياابراهيم اعرض عن هذا •• » ـ « يوسف اعرض عن هذا ••• »

« وبشرنا باسحق نبيا من الصالحين ••• » ـ « فنادته الملائكة وهو قائم في المحراب يصلي أن الله يبشرك بيحيى ••• » ـ « وزكريا اذ نادى ربه ••• »

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ••• »

« اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ••• »

أما المصطفى فيناديه بالرسالة ويشرفه بالنبوة :

« يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ••• »

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ••• »

« يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » •

فان ذكره باسمه أضاف اليه كتابه أو وصف الرسول أو نداء حبيب مشفق عاطف ، أو قسما باسمه ثم بالقرآن العظيم ، أو تشريفا له بالعبودية :

« طه : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى » •

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » •

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » •

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله •• لنريه من آياتنا • انه هو السميع البصير » •

« يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين » •

وليس ذلك بعجيب فكلهم بشر برسالته ، وكلهم مهد للحق الكامل الذى جاء به وكلهم أخذ عليهم العهد والميثاق ليؤمنن به ولينصرنه ، وكلهم بين يديه يعمل فى حقل رسالته ٠

ففى التوراة والانجيل ذكره وذكر أمته وصفاته وصفات أمته وصحابته :

« **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم** » ٠

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ٠ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ٠ ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه ٠٠** »

« **واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد** » ٠

والميثاق مأخوذ عليهم منذ الأزل :

« **واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ٠ قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ ٠٠ قالوا : أقررنا ٠ قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » ٠

ومنذ قد جاء وهم فى ركابه يسألهم متى شاء فيما يشاء :

« **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ٠ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** » ٠

قل لى بربك ٠٠ أيكون ثمة كبير معنى لسؤالهم دون امكانة لذلك وطوفانهم من حوله ٠٠ يراهم كما يرى الملائكة ؟ ٠٠

لقد كان كذلك ٠٠ فهو الرسول الذى جمع تراث الأنبياء فى رسالة خالدة جامعة فكان بها للناس جميعا بشيرا ونذيرا :

« **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » ٠ « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » ٠ حتى اذا جاء فقد أغنى عن كل نذير :

« **ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ٠٠٠** » وكتابه الخالد بين العالمين للعالمين : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » ٠ « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » ٠ العالمين جميعا ٠٠ كل مايصدق أن يكون عالما برأسه ٠٠ للجن والانس وكل عالم عاقل مكلف : « **ويخلق**

ما لاتعلمون » . لهم جميعا رسولا وبكتابه هاديا ومبشرا ونذيرا . فخطابه واضـــح :

« **يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار الســـموات والأرض فانفذوا .. لا تنفذون الا بسلطان .. فبأى آلاء ربكما تكذبان** » .

« **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن** » .

فكان يرى الجن كما يرى الملائكة ويخاطب هؤلاء وهؤلاء ، فلمـــا نزلت سورة الرحمن وقرأها على الصحابة قال : لقد كان اخوانكم الجن أحسن منكم اجابة فقالوا : « نؤمن بكل آية من آياتك يارب العالمين » .

ولذلك كان تحديه بالاعجاز لهما : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » .

ولقد أعطى كل نبى دعوة مجابة فدعا بها لنفسه وقومه وعلى قومه :

فقال نوح : « **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمـــؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا** » .

وابراهيم قال : « **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى . ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** » .

وموسى قـــال : « **رب اشرح لى صـــدرى ويسر لى أمرى ...** » .. وغيرهم وغيرهم .. أما محمد فقال عن قومه وهم يؤذونه : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .. وسكت فما دعا لنفسه حتى جاءه النداء :

« **انا فتحنا لك فتحا مبينا ...** » ـ « **ورفعنـــا لك ذكرك ...** » ـ « **ولسوف يعطيك ربك فترضى ...** » .

ولذلك قال فى حديث ما معناه : كل نبى أعطى دعوة فدعاها .. أما أنا فقد ادخرتها لأمتى يوم القيامة . حتى اذا ما اجتمع الخلق جاءت كل أمة ومعها شهيدها .

أما محمد الكريم وأمته فشهداء على الخلق جميعا .. ومحمـــد من فوق الجميع شهيد ، وشافع ومشفع وبيده لواء الحمد ويقام له المقام المحمود :

« **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ...** »

« **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** » .

« **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليـــكم شهيدا** » .

« ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء » ٠

« أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا ، وأنا مبشرهم اذا أيسوا ٠ لواء الحمد يومئذ بيدى ٠ وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » ٠

أخرجه الترمذى عن أنس ٠

أما أمته فهى خير أمة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ٠٠٠ »

وأما كتابه فللعالمين جميعا نذيرا ٠٠ ولم يغادره صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ٠ « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ٠ « وانه لكتاب عزيز ٠ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠ تنزيل من حكيم حميد » ٠

ولا عجب فقد كان محمد وكتابه للكون نورا : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ٠

تلك سطور من الحكمة فى محمد الكريم ورسالته ٠٠ يؤمن بها كل مسلم فيؤمن معها أنه أمام أكرم كائن على الله ٠٠ فهو سراج من الله للكون ورحمته للعالمين ٠

وهى نفس النتائج التى يقررها الحق فى منطق التاريخ ، وموازين علم الاجتماع ، ومقاييس علم النفس وعلم المادة والحياة ٠٠

كما سنرى ذلك فى توفيق من الله ٠٠

والآن لنبدأ من جديد مع هذه المقاييس التى ارتضاها البشر لمقياس الشخصية الانسانية والعبقرية البشرية فى أرفع صورها ٠٠ وسنرى أنها جميعها سطور صغيرة فى أروع صحيفة لكائن فى الوجود ٠٠ فلا يجدون مناصا من التسليم - مع الحق - بأنه الانسان الكامل فى العالمين ٠٠

وسنعجب كثيرا حينما تقرر نفس قوانينهم بأنه - كما قال الصوفية - أول خلق الله نورا ، وخاتم رسل الله نبوة ٠٠

فالى لقاء كريم ٠٠٠

« حسنى شكيبان »